

السنن الثقافية من خلال نماذج حكاية

محمد الماكري

كلية الآداب والعلوم الانسانية
أكادير

1 — الحكى الشعبى كمظهر من مظاهر المحلية :

لنتفق أولا على أن الحكاية بالنسبة لنا اليوم هي الشكل الأكثر قدما والأكثر بساطة للسرد الأدبي. باعتباره الشكل المنقول إلينا قبل أن نتعلم القراءة، وهي إلى هذا في الغالب نتاج أشكال القص الطفولية التي تبادل الناس حكايتها لبعضهم البعض بشكل أو بآخر منذ آلاف السنين، والكتابة لم تحفظ لنا إلا التظاهرات المتأخرة لتقليد ثقافي أقدم من اللغة المكتوبة ذاتها، لهذا لا يمكن أبدا لارث الحضارة الكتابية أن يحملنا على الاعتقاد بأن المسافة الزمنية التي تفصلنا عن المجتمعات التقليدية التي لا تكتب كبيرة للغاية.

— إن مسألة الأصول التاريخية لنموذج حكاية معين استنفدت جهد الباحثين ومع ذلك فالحل في عدم جاهزية أي جواب حول هذه المسألة : ففي الوقت الذي تحتفظ فيه الحكايات القديمة ببعض التفاصيل المتصلة بالتقاليد والطباع والمعتقدات والسنن الاجتماعية المخالفة للمألوف في مجالنا لانقوى على فهمها وعلى منح دلالات لبنائها العلامى.

أما عن الأصول الجغرافية للحكاية فهي بدورها كانت محط دراسات عديدة اصطدمت بنقص توثيقي وبصعوبة تأويل السياقات الثقافية للنسخ أو النماذج المقارنة، وهذا يخص كثيرا من النماذج الحكائية المنتشرة في بقاع متباعدة من العالم، من جهة وفي المجال الجغرافي الواحد من جهة ثانية.

والنماذج الحكائية المقترحة هنا تنتمي لنفس المجال الجغرافي اعتمادا على معطيات

الالتقاط الشفوي، ظاهرياً، ولنفس الفضاء الحكائي، أي الفضاء التقليدي الشعبي. بناء على طبيعة الشخص الموظفة والتي بمقتضاها يمكن التمييز بين فضاءات حكاية ثلاث. تقليدي / كلاسيكي / حديث.

1 — الأول ينعت بمنطقته فيما هو يمنح شخصه أدواراً محدودة بجملة من الوظائف Fonctions (بطل، محادع...)

2 — والثاني ينعت بواقعيته فيما تتحرك شخصه كأفراد العالم الواقعي تماماً.

3 — والثالث ينعت بتخليته حيث لا تتعدى الشخص مجرد نماذج عرض متخيلة، وإسقاطات خيالية، ونتاجات كتابة produits d'écriture

وبالنظر لطبيعة النماذج المقترحة هنا وانطلاقاً مما يرصد في نزوعها الاحيائي كوجه من وجوه العجيب فيها، نرى أن الحكاية الشعبية، لا تمثل إلا مظهراً واحداً من مظاهر الحكاية الشعبية، الموجهة في المجالات الريفية أصلاً في صورة حكايات الجن والسحرة والحيوانات كأدب للأطفال. والحكاية الشعبية في محليتها كشكل تعبري وكعمل فولكلوري «تشارك في الدونية التاريخية للبنية الاجتماعية التي تلدها، تستمد منها حقيقة قيمتها...» ونحن اليوم إذ نستعيد الحكاية كمظهر تعبري وكسمة لثقافة محلية. نفعل ذلك منفصلين عن الماضي الثقافي الذي هو ماضينا لتأمل من الخارج شكلنا السابق ونرصد عملية الانسلاخ والتحول. ومن هنا فإن الحكائي المستعاد في سمته الفولكلورية تلك لا يمثل القديم والأصيل بل هو جزء من الراهن الثقافي الجديد بعد أن فسحت له الثقافة المستوردة فرصة التواجد مجدداً بعد أن كان مجرد مستودع أثري لمجتمع فاطر الحياة⁽¹⁾.

إننا ونحن نتأمل النماذج الحكائية اليوم في قدمها واستمرارها، لاثمك شرعية اعتمادها متضمنة محتوى شعبي لأن الجماعة الشعبية التي تداولتها وتداولها، لا تقدم من خلالها مشهداً عن نفسها لنفسها، ومن هنا فلا مبرر لاعتمادها موضوع معرفة تخص الثقافي في محليته، لهذا فليس مسموح لي أولاً بتقديم بعض التحفظات أمام المسلك الشائك الذي أجدني فيه وأنا اليوم أحاول تناول نصوص في الأدب الشفوي «الشعبي» الذي يمكن أن توضع نسبته ومحليته الثقافية موضع تساؤل للاعتبارات التي سلف تقديمها.

(1) بخصوص هذه النقطة ينظر: ع. العروي = العرب والتعبير عن الذات التعبير والفولكلور. الايديولوجيا العربية المعاصرة.

1 — مدخل : إشكالية المشروع التحليلي

أ — النماذج المقترحة مأخوذة من مجموعة اميل لاووست Contes : E. Laoust Berbères du Maroc⁽²⁾ اننا إذن أمام نصوص يتم ابعاد شروط إنتاجها (حركية، إشارية، نغمية، نبرات صوت) وشروط تلقيها (انفعالات وردود فعل المتلقين، الضحك، الانتباه، التعليقات، الحركات)، لهذا فلا مجال لمقارنة وضعيتنا هنا بحالة الباحث، وهو ينتقي ويلتقط النماذج على الطبيعة، ولا بالشروط الأصلية للإنتاج حيث تندمج النصوص في نظام تبادل وانتشار في المكان. إضافة إلى أن غياب النماذج الأصلية (الغير الموجودة أصلا)، والمعلومات التي تخص صيغ التبليغ والنقل. يجتزل كفاية تحليل شامل، فالنصوص المقترحة، رغم كونها ملتقطة ميدانيا، هي نصوص أعيد إنتاجها كتابة، وككل إعادة كتابة فهذا يفترض اشتغالا على اللغة، أي قلبا أسلوبيا، وتحولا على مستوى العلاقة بين ماهر تعبير وما هو محتوى⁽³⁾.

إننا مجبرون على اعتماد النسخة المكتوبة كأصل، لاعتبار زمني تقتضيه استلزامات منهجية، خصوصا وأن تمحيص النماذج ميدانيا في المجال الحضري لأكادير وضعنا أمام صيغ مختلفة، تذهب إلى حد التباين، وهو اختلاف تفسره الاعتبارات التي سقناها في القسم الأول، والتي تجعل الحديث عن أكادير الكبرى كهوية ثقافية متجانسة لا يبرره واقع التعددية الاثنية المشكلة للتركيبية الحكائية لهذا المجال.

ب — المسألة الثانية تتعلق بتصنيف النماذج، ففي أي صنف يمكن أن تندرج وفي أي نمط خطابي يمكن اعتبارها : هل هي خطاب اجتماعي (قبيلة)، رمزي، شعري، تربوي...)

تبدو القضية من باب الانشغالات الزائدة، على أهميتها في الإطار الذي يؤطر عملنا إضافة إلى أن مسألة التصنيف في إطار الأنواع، هي انشغال علمي راهن، والتعاريف القائمة على مقاييس شكلية أو بنيوية أو موضوعاتية ليست كافية في

E. LAOUST. Contes Berbères du Maroc : Larose. 1949

(2)

El Mostafa CHADLI «Le chat pèlerin»
un Essai de traitement Sémiotique
in Langues et littérature V. II 1982.

(3)

هذا المجال، غير أن الشيء الذي لا يمكن القفز عليه هو أننا أمام نتاجات أدبية
لاعتبارين :

1 — باعتبارها إنتاجا ثقافيا لمجموعة بشرية (...)

2 — باعتبارها نتاج عمل شخص ثقافي (واضعها الأصلي).

واننا أمام نصوص شفوية تم عليها اشتغال لغوي كما سلف الذكر في صورة
تسجيل بلغة غير اللغة الأصلية:

ج — نقصر تناولنا هنا بمقتضيات تنظيمية يستلزمها ضيق الحيز الزماني على
نموذج واحد يعرض قيمة واسعة الانتشار، تكون لحمة مجموعة مهمة من الحكايات
الشعبية المعروفة التي تتشكل وفق قصة طفلين يتيمين وبقرة. حكاية متوسطة
الطول، ترد في صيغ مختلفة مقترنة بتيمة أخرى بُنِي وفق صراع الحيوان الضعيف
والحيوان القوي (القنفذ والسبع)، التيمة الحكائية الأولى يمكن تركيزها في التالي :

* «تحت إلحاح زوجته الثانية يتخلص الزوج من طفليه اليتيمي الأم، يمنحهما
بقرة تغذيهما من حليهما، وبعد ذلك من لحمها، ولكنه ينصحهما بألا يذبحاها
إلا ساعة تدلي الشحم في فتحتي أنفها، يكبر الطفلان، يتفوقان صحة وجمالا على
أبناء زوجة الأب، مما يثير غيبتها فتعمل على اكتشاف سر هذا التفوق لتحرمهما
من مورد قوتهما الوحيد. والقصة في العمق تعرض للكائنين الصغيرين المتروكين
المضطهدين، اللذين تنقذهما الصدفة، أو التدخل الاعجازي لأمهات الميتة، التي
تجهد لضمان تغذيتهما بمختلف الوسائل الممكنة».

التيمة الحكائية الثانية، يمكن تركيزها في الخلاف الأبدي بين الأسد والقنفذ
وهو خلاف يستمر تحفيزه في ثنايا الحكيم انطلاقا من التيمة الأولى في بعض الصيغ
لينتهي بمواجهة اقتتالية تؤول لصالح الضعيف (القنفذ).

2 — ننطلق في تناولنا من اعتبار النموذج «سردا» أي حسب تحديد غريماس
«الخطاب الحكائي ذي الطابع التصويري (التضمن لشخص تنجز جملة من
الأعمال) وحسب تحديد بروب V. Propp باعتباره «تتابعاً زمنياً لمجموعة وظائف
أو أعمال وهكذا يمكن تحديده في تصويريته وزمنيته في نفس الآن»⁽⁴⁾.

كما ننتقل من اعتباره ناتجا عن نظام رمزي مما يستوجب الاهتمام به في المقام الأول (مع مراعاة إمكانية إضاءته بالسياق الثقافي الخارج نصي). من هنا فالخطة التي نتبناها تقوم على استجلاء نظام معين في شكل سنن وراء النموذج الحكائي. اننا للاعتبارات السالفة لن نتناول النموذج وفق قراءات نقوم على تقطيعه إلى وحدات صغرى ولكن وفق تشغيل قراءة على مستويات مختلفة على مجموع الحكاية، أي في كليتها.

بخصوص المشكل المتصل بتعدد الصيغ بالنسبة للنموذج الواحد، نشير مع C.L Strauss إلى أن قراءة من هذا القبيل لا يمكن أن تنجز إلا بترك هذا المشكل الخاطيء. الذي يراه الكثير من المحللين عائقا. ومن هنا نعتقد في كون مختلف صيغ الحكاية، ناتجة عن نفس التركيبة الذهنية Dispositif mental وأن تنوعها هو ذاته الذي يمكن من استجلاء بنيتها المشتركة.

بعد هذه التوضيحات نقترح فيما يلي، مستويات التناول القرآني التي سنحاول تشغيلها أمام النموذج المذكور.

3 — مستويات التناول التحليلي :

1 — اعتبار النص الحكائي في دلالاته اللسانية العادية — الممكنة من قراءته وشرحه أو تلخيصه — وفي دلالاته الكامنة وراء معناه السردى البسيط ومن أجل ذلك يلزمنا.

أ — توضيح أن المقاطع السردية في الحكاية تمتلك دلالة متميزة عن دلالاتها اللسانية، لنمنحها بعد ذلك قيمة دلالية جديدة بما ينسجم مع أبعاد الحكاية.

ب — توضيح النظام الداخلي لهذه القيم الدلالية في استقلال عن نظام السرد.

2 — أبعاد الحكاية : ويلزم تشخيصها على مستويين :

أ — مستوى المقاطع

ب — مستوى الأجزاء

3 — أطر الحكاية ويمكن اختزالها في :

أ — الثقافي المعيشي

ب — السوسولوجي.

د — الكوني

4 — مظاهر الغنى التعبيري للحكاية

نشير إلى أن تبني هذه الخطاطة القرائية المبسطة من بين أنماط أخرى تحفز عليه مقتضيات الدراسة المقترحة بشكل عام. والخطاطة كما هو واضح تستند في مجملها على مبادئ المقاربة في الانثروبولوجية البنيوية للنموذج الحكائي الاساطيري خصوصاً في اشتغالها على مستويي بنية الحكاية بكيفية عامة، والأبعاد المتصلة بالحكاية المقترحة من جهة ثانية.

أما الإختيار الثاني الوارد فهو الإختيار السيميوطيقي. الذي يستتبع النظر إلى النص كعالم ذري مستقل ودال خارج الحمل السياقي L'apport contextuel لأن فهم الأنماط التعبيرية الشفوية يمر ضرورة بالامتلاك القبلي لمعرفة واضحة لسننه الدلالية، والقيم — أخلاقية Sémantico - axiologique

وبما أن النظرية السيميوطيقية تؤخذ كنظرية تستهدف توضيح الجانب الدلالي انطلاقاً من شروط فهم النص وإنتاج المعنى انطلاقاً من نموذج مهياً ومبني لهذه الغاية. وبما أننا لا نستهدف إقامة نموذج نحوي حكاوي للنص ولا اعطاء تعبير شكلي للمفاهيم الموظفة في إطار طريقة افتراضية استنتاجية hypothético - déductive فإن المعالجة السيميوطيقية لن تفيدنا بما ينسجم مع الأهداف المحددة في الدراسة ككل.

4 — التحليل

1 — النص الحكائي المقترح في نموذج المدون يقدم متواليات سردية مترابطة وفق منطق حكاوي مضبوط يتم استهلاكه من طرف الحاكي المفترض بتحديد للنوع «تأحاجيت» ثم بتقديم للشخص المحورية «يان أوركاز» رجل + سين وراونس»، ابنه + «تامغارت انس» زوجته + «يات تفوناست» بقرة.

— من منظوق الاستهلاك نلمح إلخاقاً للنوع «تأحاجيت» بالشخص بواسطة أداة الإلحاق الإضافية «ن» تـ نيان أوكاز ننادسين وراونس تمغارت انس ليتحدد النوع هنا في خاصيته الإخبارية :

النوع هنا في خاصيته الإخبارية :

تأحييت = قصة = خبر = حكاية.

«حكاية رجل وابنيه وزوجته كانت لديهم بقرة يواظب الطفلان على إخراجها إلى المرعى...»

ينتهي هذا القسم الاستهلالي بتحديد زماني مطلق «آريان واس» «انان آس أبابا ترائيفي...».

هذا التحديد الزماني المطلق «يوم من الأيام» يؤطر طلب الطفلين «نريد اللحم» هذا الطلب الذي ستتناسل المتواليات الحكائية انطلاقاً منه في شكل استجابات أو ردود أو أحداث ليتنامى الحكوي مستكملاً معالجته للتيمة الأولى وفق النموذج التالي.

الصيغة

1 — طلب اللحم.

2 — رد الأب : ضرورة الاعتناء بالبقرة حتى تبلغ أقصى حالات السمنة الشرط في صورة مؤشر على حالة السمنة تلك (أن تصير لاحمة بفعل كثرة الذهن) = شرط تعجيزي = مؤشر مستحيل واقعياً.

3 — استجابة الأطفال : الاعتناء المتزايد بالبقرة + سرقة الشعير من الجيران.

4 — النتيجة = تسمن البقرة حتى « حدود الانفجار » ولا آثار للذهن المعتبر مؤشراً على السمنة وشرطاً لتناول لحم البقرة.

5 — رد فعل أمام هذه النتيجة : التفكير في حيلة : شراء الشحم وحشو اذني البقرة، ثم استدعاء الأب ليشهد المؤشر المفتعل.

6 — نجاح رد الفعل : الأب يقتنع ويسمح بذبح البقرة

7 — شرط جديد (في الغابة، في مكان خلو من الذئاب).

8 — التنفيذ: أخذ البقرة إلى الغابة، ذبحها تقسيمها إلى أرباع.

هنا تنتهي التيمة الأولى لتنهض التيمة الثانية يبرز شخوص جدد من طبيعة حيوانية. (أسد، قنفذ، دجاجة، ثعبان)

- 1 — الأسد يشم رائحة اللحم — ويأتي طالبا نصيبه
 - 2 — الرد : الطفلان يطلبان منه القدوم معهما، لأن الأب هو الذي يعرف الجزء الذي يمكن أن يأخذه السبع.
 - 3 — استجابة : الأسد يتبع الطفلين اللذين يطلبان منه التوقف حال بلوغهما البيت ويغلقان الباب في وجهه.
 - 4 — الأسد يكتشف حيلة الطفلين ويلج مزجرا في طلب اللحم مهددا بالدخول عنوة.
 - 5 — الطفلان يستجيبان بالصعود فوق المنزل وإلقاء جلد البقرة.
 - 6 — الأسد يأخذ الجلد يصنع منه جرابا ويطلب المزيد.
 - 7 — الطفلان يلقيان إليه بالرأس.
 - 8 — الأسد يأخذ الرأس، يضعها في الجراب، يطلب المزيد مهددا.
 - (9 — 10) — الطفلان يمنحانه الأحشاء، يضعها في الجراب، يطلب المزيد.
 - 11 — الطفلان يلقيان إليه بكل البقرة.
 - 12 — الأسد لا يتوقف عن طلب المزيد.
 - 13 — الزوجة تتصرف وتأخذ زوجها من يد وابنيه من يد وتلقي بهم للأسد
 - 14 — الأسد يضع الثلاثة في جرابه ويبدأ في الدوران حول البيت للاقترب من الزوجة.
- * هنا تأخذ التيمة الثانية منعطفا جديدا مستكملة بنيتها الكلية القائمة على المواجهة، يتوقف الحكى ليفسح المجال لتحديد زماني مكاني :
- هذا اليوم يوم سوق — والطريق المؤدي إليه يمر بالقرب من هذا البيت، هذا التحديد يستتبع مقاميا مرور الناس من وإلى السوق.
- 1 — الأب وابناه يطلبان نجدة المارة.
 - 2 — الرد : الناس يمتنعون عن مد العون خوفا من الأسد
 - 3 — يمر القنفذ ممتطيا دجاجة
 - 4 — الطفلان يطلبان مساعدته.

(5 — 6) — القنفذ يتساءل عن سبب وجودهم على تلك الهيئة، يعلم منهم أن الأسد هو الذي وضعهم هناك.

7 — الاستجابة : القنفذ ينزل ويخلص الثلاثة.

8 — الأب وابناه يخرجان من الجراب ويمضيان مباشرة نحو السوق.

* تبدأ المواجهة بانتباه الأسد إلى وجود القنفذ قرب الجراب المفتوح.

1 — الأسد يتساءل موجهًا الخطاب إلى القنفذ عن خالص الثلاثة من الجراب.

2 — الرد : القنفذ يجيب بتحد بأنه هو.

3 — الأسد يقرر أكل القنفذ عوضًا عن الأب وابنيه

4 — الاستجابة : القنفذ يستجيب لطلب الأسد بعد اعتراض شكلي (لا يمكنني أن أشبع شهيتك)

5 — الشرط : القنفذ يطلب من الأسد أن يفتح فمه حتى يدخل مباشرة دون أن يتكلف مضغه بمشقة (الشوك)

6 — الأسد يستجيب لشرط القنفذ.

(7 — 8) والتنفيذ : الأسد يفتح فمه، القنفذ يقفز إلى عمق حلقة ويتكور،

(9) : الأسد يحس بالاختناق ويطلب منه الخروج مقابل الصفح عنه.

(10) : الشرط : القنفذ يطلب منه التوضع في مكان عال، ويفتح فمه ليخرج من حلقة،

(11) : استجابة : الأسد يستجيب لطلب القنفذ،

(12) التنفيذ : القنفذ يقفز متدحرجًا إلى عمق الوادي.

(13 — 14) : الأسد يشرع في البحث عنه بدون جدوى، وبعد يأس

ينصرف إلى غابته.

* بانتهاء هذه المواجهة تبدأ مواجهة أخرى طرفها الأول : القنفذ دائمًا.

1 — القنفذ يلتقي الأشخاص الثلاثة مجددًا، 2 — الرجل يدي رغبته في

اصطحابه إلى بيته كلعبة يتسلّى بها الأطفال. 3 — القنفذ يستنكر هذه الرغبة

من الرجل الذي خلصه من براثن الأسد 4 — الرجل يصبر على اصطحابه، 5

— : استجابة : القنفذ يستجيب مقترحا تقديم أحد أطفاله عوضا عنه، 6 —
الرجل يقبل الاقتراح.

* يتوقف الحكيم للاخبار بأن للقنفذ زوجا من الثعابين كجيران.

1 — القنفذ يصطحب الثلاثة إلى جحره 2 — يطلب منهم الانتظار ريثما يخرج
ابنه الصغير 3 — القنفذ يحكي قصته لجاره الثعبان، 4 — الثعبان يطلب جرابا
لتخليص صديقه القنفذ، 5 — الثعبان يدخل الجراب، 6 — القنفذ يمنح الرجل
الجراب المتضمن للقنفذ الصغير كما هو متفق عليه، 7 — الشرط : القنفذ يشترط
على الرجل ان لا يفتح الجراب إلا بعد وصوله إلى المنزل، 7 — 8 : استجابة :
الرجل يقبل بالشرط ويمضي حاملا الجراب،

9 — الرجل يصل إلى البيت ويدعو أطفاله،

10 — يفتح الجراب وينفض محتواه،

11 — الثعبان يخرج من الجراب وينقض على وجه الرجل ليفقأ عينيه.

هكذا تتكامل الحكاية في نسختها النموذجية. ومن قراءة أولية يبدو بوضوح
انها تقدم ترابطا نصيا بين أكثر من حكاية تقدم في سياقات أخرى منفصلة عن
بعضها البعض، أو تدرج ضمن نسيج حكائي آخر.

ففي موازاة هذه الصيغة تبرز صيغة أخرى تقدم تماثلا بنيويا مع الأولى، مع
اختلافات في التفاصيل وتعاقب الأحداث، وهذا بناء على ما تقدمه الصيغتان في
دالتهما اللسانية، بحيث يمكن تشخيص التوازي بين الصيغتين، تأسيسا على تعاقب
التييمات الأساسية التي سبق تحديدها بالنسبة للصيغة الأولى.

الصيغة 2

الصيغة 1.

الاستهلال : قصة الزوج وابنيه وزوجته ← صياد وزوجته وطفليه
↓
وزوجته وطفليه من الزوجة المتوفاة
1 — الصياد يحضر زوجا من طائر
الحجل.

2 — الزوجة تقنعه بضرورة

التخلص من الطفلين بدعوى
الاكتفاء.

(3، 4، 5) استجابة : الصيد
يستجيب لرغبة الزوجة فيتخلص
منهما ويترك معهما
بقرة.

البقرة

الشرط الشحم

6 : الشرط : يأمرهما يذبحها حالما
يسيل الشحم من أنفها.

7 : الطفلان ينشغلان برعي البقرة،

8 : الطفلان يستغرقان يوما في

البكاء، (9 — 10) الغرابة (الانثى)

تلمحهما وتسألهما عن سبب

البكاء. 11 — الطفلان يقصان

حكايتهما للغرابة، 12 — الغرابة

تطلب منهما ملء ثقب صغير من

دموعهما لتفسل فيه ثياب صفارها مقابل

البحث عن الشحم، 13 — الغرابة تحضر

الشحم وتفرك به أنف البقرة، 14

— الطفلان يشرعان في ذبح البقرة

في مغارة منيعة.

1 — الأسد يطلب منهما إلقاء ربع

البقرة المذبوحة

2 — استجابة : الطفلان ستجيبان

لطلبه 3 —

الأسد يطلب الربع الثاني، 4 —

استجابة : الطفلان يستجيبان مرة

أخرى، (5 — 6) الأسد يطلب

الثالث والرابع،

طلب

* بداية النتيجة الثانية (الأسد)

تنفيذ الحيلة

استجابة

ويتساءل عن المتبقي، 7 — الطفلان
يلقيا بما تبقى من جلد البقرة،
8 — الأسد يتساءل عما بقي مرة
أخرى، 9 — الطفلان يجيبان انه لم
يبق سواهما، 10 — الأسد يطلب
منهما أن يتعاركا ليلقي أحدهما
بالآخر، (11 — 12) الطفلان
يتعاركان ويسقطان بين برائن الأسد.
(13 — 14) الأسد يضعهما في جلد
البقرة ويحملهما إلى الطريق المؤدي إلى
السوق

نفاذ لحم البقرة

اللقاء بالثلاثة

داخل الجراب

* بداية القسم الثاني من

1 — * مرور الحيوانات في الطريق إلى
السوق

التيمة الثانية (المواجهة)

2 — استغاثة الطفلين، 3 — امتناع
الحيوانات عن المساعدة خوفا من
الأسد.

استجابة القنفذ

(4 — 5) القنفذ يستجيب لنداء
الطفلين ويخلصهما

6 — الأسد يتساءل عن خلص
الطفلين، 7 — القنفذ يجيب بأنه هو،
8 — الأسد يطلب العراك،

9 — استجابة : القنفذ يستجيب
لطلب الأسد

10 — الأسد يجمع كل الحيوانات
المفترسة فوق مرتفع (11 — 12)
القنفذ يحشد من جهته الحشرات

والزنانير والنحل، يتقدم للملاقة
الأسد وجيشه. 13 — القنفذ يأمر
الحشرات بالانقضاء، 14 —
الحشرات تنقض باللسع

القنفذ يتخلص من الأسد
15 — الأسد يهرب متبوعاً بباقي
الحيوانات

16 — القنفذ يمضي في أثر الأسد إلى
عرينه

17 — ينتزع ريشة من دجاجته
ويضعها أمام مدخل العرين بحيث
يلمحها الأسد من الداخل، 18 يتهيب
الخروج اعتقاداً بوجود القنفذ الدائم
أمام المدخل، 19 — الأسد يموت في
عزلته وخوفه

▼ الثعبان يفتق عيني الرجل

يتضح مما تقدم، التماثل البيوي بين الصيغتين، وهو تماثل بمقتضاه يمكن تركيز
الحكايتين انطلاقاً من منظورهما في الخطاطبة التالية، بناء على دوائر العمل السبع
التي يحددها بروب Propp كعنصر أساسي ثان في الحكاية بعد وظائف
الأشخاص الواحدة والثلاثين : والدوائر المذكورة تتأسس على تجمع مجموعة
وظائف بصورة منطقية، وهي دوائر عمل تطابق الشخصيات المنجزة للوظائف :

1 — موضوع الالتماس : لحم البقرة، الشيء الجاري البحث عنه في كلتا

الصيغتين 2

2 — الموكل : تكليف الطفلين بمهمة رعي البقرة — تكليف الأب بالتخلص
من الطفلين.

3 — البطل : الطفلان يدأبان على رعي البقرة — يفكران في حيلة لبلوغ
موضوع الالتماس.

4 — المهاجم : الأسد يطلب اللحم، يطارد الطفلين.

5 — الواهب : القنفذ يظهر كمخلص.

6 — المساعد : القنفذ يخلص الشخصين — ويبدأ مواجهة الأسد

7 — البطل الزائف : الزوج يطلب اصطحاب القنفذ ويفشل لتفقأ عيناه — الأسد يطلب مواجهة القنفذ لينتهي ميتا في عرينه.

هذا الاختزال إلى دوائر عمل الأشخاص لا يتجاوز المعرفة اللسانية الممكنة من قراءة الصيغ وشرحها وتلخيصها. فمن خلاله نقف عند الجانب التعبيري في الخطاب.

غير أننا ملزمون هنا كخطوة ثانية باعتبار الصيغتين المعروضتين حاملتين لدلالة تختلف عن دلالتهم اللسانية تلك. وحتى نقف عند هذا الاشتغال التعبيري التضميني يجب أن نمنح المقاطع الحكائية قيما دلالية جديدة تنسجم مع الأبعاد المختلفة التي تظهرها الحكاية.

— أول مؤشر يعزز هذه الخاصية التضمينية يتمثل في نزوعها إلى الانسنة والاحيائية، عن طريق توظيف شخوص حيوانية توكل إليها وظائف الاتصال المباشر بالإنسان، وتسند إليها أفعال إنسانية (كلام، اشتغال في المكان، فعاليات يومية، احتيال...).

أ — فبالنسبة لموضوع الالتماس : «اللحم» تبرز البقرة في تعيينيتها كحيوان أليف، وكمعطى من ضمن المعطيات الاقتصادية التي يتمحور حولها النشاط اليومي لأسرة ريفية. غير أن النظر إلى موضوع الالتماس «اللحم» كمطلب عزيز يتم تأجيله ما أمكن من طرف الأب. في مقابل الإلحاح القوي للطفلين يقدم وجها آخر في شكل محتوى متضمن يتعارض وفقه المطلب المذكور مع ما ينظر إليه من زاوية العطف الأبوي

ذبح البقرة Vs بقاء البقرة حية

اكل اللحم Vs شرب الحليب

يبدو من هذا التعارض أن موضوع الالتماس، مطلب آني ونزوة أو رغبة ذات طبيعة ترفيفية في حين أن البديل المقترح يرتبط بمصلحة اقتصادية يمكن أن يعزي استمرار الحياة لها. على اعتبار أن ذبح البقرة تعطيل لخاصيتها الإنتاجية المستمرة والمتنامية كلما بولغ في الغاية بها. وهي إنتاج الحليب. ان موضوع الالتماس ينظر

إليه هنا كـرغبة في التحويل في سياق تبادلي. ينتج عنه امتلاك ما يشبع رغبة ظرفية في مقابل ما يسد حاجة دائمة، امتلاك اللحم / في مقابل فقدان الحليب.

هذا التأويل ينسجم بشكل واضح مع الرمزية الملازمة للبقرة في الميتولوجيات القديمة خصوصا البقرة المنتجة للحليب التي تؤخذ كرمز للأرض المغذية ففي مصر القديمة تعتبر البقرة آحت Ahet أصل التمثهر وجسد الشمس (...). كما أن صورة حتحور HATHOR تلخص هذه المظاهر المختلفة لصورة البقرة ورمزيتها فهي الخصوبة، والثروة والانبعاث والام... انها جوهر التجدد والأمل في استمرار العيش (...)(5).

هذه الخاصية الرمزية في الميتولوجيا القديمة تتماثل مع الخاصية التضمينية التي تقدمها البقرة في دائرة موضوع الالتماس.

بقرة	منتجة	للحليب	=	الأرض	المغذية
(الانتاج)	الخصوبة	=	الخصوبة	(امل استمرار العيش).	
(التعويض)	الأمومة	=	الأمومة		

VS

بقرة	مذبوحة	=	أرض	متروكة	معطلة
موت	=	جذب	(اليأس في استمرار العيش).		
افتقار	=	عدوانية			

ويمكن بناء الترابط الرمزي بين البقرة / الأرض والبقرة / الأم. انطلاقا من منطق الاستهلال الذي يفهم منه أن الطفلين هما من زواج سابق ويعيشان مع زوجة الأب. ومن هنا فإن القول بالتعويض وارد بحيث تقوم البقرة مقام الأم والميل بالنسبة للطفلين المتروكين، ومقام الملكية الخاصة في صورة هبة أبوية، والحال أن التماثل الرمزي بين الأرض والأم تماثل مسلم به وموجود في أغلب الثقافات الإنسانية.

وإذا نظرنا إلى المسألة من الزاوية الانتاجية نجد ان التماثل الرمزي بين البقرة

والام. يتعزز بعنصر الحليب في مصدره الانثوي الامومي ضرورة. الأمر الذي ينظر بموجه إلى البقرة في علاقة التعويض التي تربطها بالانثى على أنه تجل عجائبي للأم المفتقدة في وسط عدواني مثكالب. على ضوء هذا التماثل الرمزي يمكن تفسير جملة السلوكات المحيطة بالدائرة الأولى «موضوع الالتماس» والمتمظهرة في صورة شروط، ومطالب، واستجابات، وتحايل... فبتجاوز بعض التفاصيل الجزئية البارزة كقيم خلافية بين الصيغتين — على أهمية تلك التفاصيل — سنقف عند بعض الثوابت وأهمها :

طلب اللحم، استجابة الأب، شرط الأب

استجابة الطفلين، تحايلهما على الشرط بعد يأس ونفاذ صبر.

1 — بالنسبة للطلب الذي موضوعه اللحم : ينظر إليه من زاوية المقتضيات الاقتصادية المتحكممة في النظام الغذائي، وهي مقتضيات تجعل من تناول اللحم ترفا وامتيازاً غير متوفر باستمرار، لأن الطلب هنا جاء مقترناً بتحديد زماني يفيد طول المدة «آريان واس».

2 — بالنسبة لاستجابة الأب، ينظر إليها من وجهين : الوجه غير المشروط والوجه المشروط، بالنسبة للوجه الأول نجده محكوماً باستلزامات الابوة وما تستتبعه من مسؤوليات اعالة، وتوفير حاجيات في حدود الامكان، أما الوجه الثاني فهو شكل من أشكال القبول / الرفض مادام قبولاً مشروطاً ومن هنا المرور إلى العنصر الثالث.

3 — شرط الأب : في طابعه التعجيزي يمثل سلطة الخبرة والتجربة لدى الكبير في مقابل سذاجة الصغير وانسياقه وراء الوعود. ان الشرط في حد ذاته منح الأب إمكانية التصرف على واجهتين :

— واجهة الأب العطوف المستجيب لرغبات الأطفال.

— واجهة الأب الحريص على المصلحة الاقتصادية لجمال تحكمه.

فالشرط تأجيل لتلبية الطلب، ولكنه تأجيل إلى ما لا نهاية مادام شرطاً مستحيل التحقق.

4 — استجابة الطفلين : مظهر من مظاهر الامتثال ولكنه امتثال يتلبس بحافز الرغبة الملحة، في تحصيل موضوع الالتماس «اللحم» وليس فقط بالطاعة أو الامتثال

لرأي من هو أكبر سنا. وهذا ما يفسر اجتهداهما إلى حد سرقة الشعور من حقول الآخرين.

5 — التحايل على الشرط : ينظر إليه كرد فعل رمزي على الشرط التعجيزي ذاته فالشرط حاجز أمام موضوع الالتماس والحيلة إلغاء رمزي لهذا الحاجز وحتى الطريقة التي بمقتضاها تم تنفيذ الخطة. ثم رد فعل الأب أمام هذا الواقع الجديد المفتعل (الاذعان) هي كلها سلوكات ذات طبيعة رمزية تشخص كيفية اشتغال الرغبة الطفولية المتحررة من أية اعتبارات تنقل كاهل الكبار — متجاوزة كل المقننات القسرية التي لم يقو الأب على بسطها صراحة، لأن في ذلك انتقاصاً من هويته الأبوية. وتشكيكاً في حقيقة السلطة الأبوية، وكشفاً عن زيف المشاعر المبذولة كتعويض للطفلين عن يتم الأم.

وهذا تأويل يضعنا أمام التعارض الخفي بين مصلحتين، وبين واقعين

واقع الأسرة } العائلي، (حرمان من عطف الأم).
الاقتصادي (حرمان من مورد اعالة كاف)

VS

رغبة الطفلين ترف غذائي

انطلاقاً من هذا التعارض تشتغل اواليات التحايل من الطرفين الأب / الأطفال في تجاذب يؤول لصالح رغبة الطفلين ولكنها مع ذلك تبقى رغبة غير مكتملة كما يتجلى ذلك من بقية الدوائر.

الدائرتان اللاحقتان (البطل، الموكل) متضمنتان في موضوع الالتماس وتشملهما المعالجة أعلاه، لهذا لن نتوقف عندهما تفادياً للاسهاب.

— الدائرة الرابعة — (المهاجم)

الأسد يطلب اللحم ويطارد الطفلين.

تقدم مؤشرات تضمينيتها وطاقتها الرمزية بكثافة توظيف الشخصوس الحيوانية في اشتغالها محدثة ومتفاعلة (بعدوانية / أو بموازرة) مع الشخصوس الإنسانية.

ان بروز «الأسد» كعنصر جديد يأتي مقترنا باكتمال الدائرة الأولى وذلك

بمقاربة تحصيل موضوع الاتماس (ذبح البقرة وتقسيمها إلى أرباع) الأسد بسلوكه العدواني يكشف عن رغبة امتلاك تتعارض مع رغبة الطفلين ورغبة الأب. وموضوع هذه الرغبة يبقى واحدا «اللحم» ليشكل وفق هذا التعارض تجاذباً متمحوراً حول نقطة واحدة مع اختلاف حوافز الرغبات الثلاث.

الأب	البقرة	الطفـلان	الأسد	المذبوحـة	(اللحمـ)
رغبة تحفزها حاجة	الحياة	رغبة يحفزها	رغبة تحفزها		
اقتصاديـة	الحلوب	حرمـان	طبيعة فطرية		

ما يهمنا هنا هو ما يتعلق بالعنصر الجديد، مادما قد تناولنا في موقع سابق ما يتصل بالأب والطفلين. إن رغبة الأسد المعتبرة في مقاربة أولى محفزة بطبيعته الفطرية كحيوان من آكلات اللحوم النيئة نفسها تتجاوز في مرحلة لاحقة تحصيل الموضوع السابق، لتشمل غريميه أيضا (الطفـلان، الأب)، ان الدائرة الرابعة بناء على ما ذكر تقدم حصيلة الرغبتين المحدتين في الدائرة الأولى، اذ إن السلوك الذي نتج عنهما أوجد هذه الحالة المأزق التي راكمت إلى افلات موضوع الرغبة — بعد أن كان وشيك الامتلاك — اعتبار الطفلين موضوعا لرغبة جديدة متمظهرة بصيغة عدوانية.

الأسد للاعتبارات السالفة يتمظهر كقوة متسلطة قاهرة، تمارس قوتها المطلقة على باقي الشخوص وتستأثر بموضوع الاتماس باعتبار هذه النتيجة، ينظر إلى السلوك الباعث على ظهور الأسد، كذنب أو معصية تستوجب عقابا، والحال ان هذه النتيجة تؤكد ما انتهينا اليه ونحن نعالج مسألة الشرط في الدائرة الأولى، وفي مقابلها رد الفعل الذي انتصرت بموجبه رغبة الطفلين. رغما عن رفض الأب الضمني المتمثل في شرطه التعجيزي. فذبح البقرة يعني تعطيل أسباب استمرار العيش، واستئصال أسباب الخصوبة. والموقف الجديد يعمق المسألة بتمظهر الموت المحقق من خلال عدوانية الأسد.

إن هذه الدائرة يمكن أن تعالج بالاستناد إلى الحمولة الرمزية للبقرة، في مماثلتها بالأرض المغذية، ويمكن أن نلج المعالجة هنا انطلاقا من مقولة القسمة :

قسمة البقرة = قسمة الأرض. وهي هنا تفيد فك اشتراك في مصلحة أو ملكية أو سواها، وما يستتبعه ذلك من انفصال وانفراد بنصيب ذاتي في استقلال عن الآخر، لهذا الاعتبار فذبح البقرة يعتبر مؤشرا — باعتباره المرحلة الممهدة للقسمة — يمكن أن تتركب الدائرتان الأولى والرابعة انطلاقا منه.

البقرة :	ذبح البقرة	قسمة البقرة :	سطو الأسد على مجموع البقرة
الأرض	التوقف عن العمل	قسمة الأرض	سطو المعتدي على مجموع الأرض
موضوع	رغبة	حاصل الرغبة	النتيجة

وانطلاقا من هذا التركيب يتمظهر الأسد بعيدا عن خاصيته التعينية، في رمزيته العدوانية كقوة قبلية الوجود في إطار النسيج العلائقي المجتمعي المتمحور حول الملكية على وجه التحديد والمتدخلة لتحسم الأمر لصالحها دائما كلما توفرت الشروط المحفزة والمساعدة. وبناء عليه فإن تدخل هذه القوة الجشعة يبرر بمقتضى شروطه تلك. والمتبلورة في الضعف الناتج عن التفرقة والأنانية في مقابل اجتماع الجهد الواحد من أجل نفس الغاية، وفي خدمة وسائل ضمان الاستمرار وفي طليعتها التماسك والتآزر، المتجسد هنا على مستوى الأسرة الواحدة، المتمحورة حول سلطة الأب.

ان تعارض الرغبات والمصالح (الأب / زوجته / طفلاه) نتج عنه انحلال وتفسخ في العلاقات. هذا الأخير ولد حالة ضعف تمكن الآخر / (المعتدي) من رمز التوحد (الأرض) ومن الذوات الانسانية أيضا، واضح مما تقدم الغنى الدلالي لواقعة الاحتفاظ بالطفلين / أو بالشخص الثلاث. في جلد البقرة المعبر جرابا. ففي هذه الواقعة يمنحنا الحكمي رمزية الموت المحدد بإطار مكاني، ولكنه كما سبق القول موت رمزي لا يلغي حصوله إمكانية استمرار الحكمي وفق الدوائر المتبقية.

أمام واقع الاحتفاظ بالشخص في الجراب كذروة تأزم في مسار الحكمي يبرز عنصر مساعد يجسده القنفذ الذي تتمحور حوله الدائرتان الخامسة والسادسة واختصارا نجمل الحديث عن هاتين الدائرتين انطلاقا من محورهما الذي يمثله القنفذ. كالآتي :

باعتبار تدخله كواهب ومساعد ومخلص في علاقته بالشخص الانسانية

وباعتبار انخراطه كطرف في مواجهة غير متوازنة في علاقته بالأسد. ان القنفذ يشغل إذن على محورين، اشتغالا ينسجم مع رمزيته القوية في الميتولوجيا القديمة وعند جميع الشعوب.

فالنسبة لعلاقته بالشخص الانسانية يتمظهر القنفذ في رمزيته «كمستشار» مسموع الكلمة، كمبتدع للنار، كبطل مخلص للإنسانية محضرها وبالنسبة لعلاقته بالأسد يتمظهر في رمزيته ككائن ضعيف يعرض ضعفه بحيلته وحسن تصرفه في مواقف المواجهة، ليكتسب بذلك قوة لا تقاوم يضمن بها سلامته والايقاع بخصوصه من جهة ثانية.

والقنفذ في اشتغاله على المحورين المذكورين (المساعدة والمواجهة) يبرز من خلاله كرمز تكامل جملة من العناصر أبرزها :

1 — المساعدة في مقابل عدوانية الأسد.

2 — الضعف في مقابل قوة الأسد.

3 — التعاون بين العناصر الأضعف في مقابل واقع الانقسام (حالة الشخص) واضح من خلال ما تقدم ان القنفذ يبرز قيما خلافية بالقياس إلى باقي الشخص الأخرى. وهي قيم تعزز رمزيته شبه المشتركة كمستشار وحكيم، ومعلم يعرف كيف يقبل الموازين لصالحه كلما استجدت ظروف تستدعي ذلك. ويلازم الانسان في كثير من الصيغ الحكائية مجسدا قدراته وكفاءاته المعطلة، وكذا موقف الانسان المغيب في (محضوره المستمر كمساعد وكرمز لتآزر الضعفاء لقهر الأقوياء).

إن اشتغال القنفذ المحدد أعلاه ستنتج عنه وضعية جديدة أشبه بالوضع الابتدائي، مع غياب عنصر واحد هو البقرة، وانطلاقا من هذا الوضع تنهض الدائرة السابعة، دائرة البطل الزائف

— هذه الدائرة الأخيرة تبرز عنصرا مبعدا إلى المستوى الثانوي هو الأب الذي يتصرف متابعا مسمى موازيا للقنفذ لكن المحاولة تجعلهما في مواجهة مفتوحة، وهي مواجهة يبرز عبرها الأب ردود فعل تكشف محاولته اليائسة لينتهي به الأمر ضحية سلوكه المذكور فاقد العينين.

وكما هو الشأن بالنسبة للدوائر الأخرى السالفة، فالدائرة الأخيرة كمواجهة من مستوى ثان هذه المرة بين سلطتين متماثلتين على مستوى المسؤوليات. القنفذ (الأب) vs الرجل (الأب).

وهي مواجهة تحفزها رغبة الأب الإنسان في امتلاك الأب الحيوان كوسيلة تسلية لأبنائه، مواجهة بين حليفين سابقين أمام نفس القوة الجبارة غير أن الوضع الجديد ولد رغبة أبوية أنانية بامتياز ومتعارضة موضوعيا مع ما يمكن أن ينتج عن تحالف سابق من جهة، ومع واقع الطرف الثاني (القنفذ) كمضطلع بنفس المسؤوليات الأبوية.

إن القيم الدلالية التي تبرزها هذه الدائرة تقاس منسجمة مع تلك السابقة عليها. وفي طليعتها.

1 — الطمع VS القناعة

2 — التعاون، نكران الذات VS الأنانية.
(تعاون القنفذ والشعبان).

3 — الوفاء Vs الغدر

وهكذا باختصار تتكامل الدوائر السبع في جانبها التضميني المبرز للكثير من القيم الدلالية :

(الملكية، الأبوة، الأمومة، التلاحم، الانقسام، القوة، الضعف التعاون، الوفاء، الغدر، القناعة، الطمع، الأنانية...)

والآن بعد اكتمال هذه المرحلة من مراحل التناول نعبر إلى المرحلة الموالية المتصلة بأبعاد الحكاية.

أبعاد الحكاية :

أ — على مستوى المقاطع :

يمكن أن ترصد مجموعة من التوازيات والتقابلات بين مختلف التيمات الحكائية وهي توازيات وتقابلات تبرز وتتجسم أمام المتلقي بدون كبير عناء.

— تقابل الرغبات الناجم عن تعارض المصالح (الأب — الأبناء)

— تقابل المشاعر الاسرية (المشاعر الأبوية، الأمومية الغائبة)

— تقابل الحاجة الاقتصادية والرغبات التي يحفزها الحرمان

— تقابل سلوك عدواني (أسد) سلوك مساعدة (القنفذ)

ضعف

قوة

ذكاء

غباء

- تقابل قيمتي الوفاء والغدر
- تقابل الانقسام الضعف والاتحاد والتعاون القوة
- تقابل الحياة (البقرة الحلوب) الموت (البقرة المذبوحة)
- تقابل حرية (وضع ابتدائي) أسر (سلوك الأسد).

وانطلاقاً من هذه التقابلات تبرز مجموعة من الأبعاد أو المتغيرات الدلالية وأبرزها — الكثرة — القلة / التعدد — الفردية / المغلق — المفتوح (الجراب) / السري المكشوف / الكبير الصغير (الأب الأبناء) (الأسد القنفذ) (الأب. القنفذ) (الأب. الثعبان) / الأليف المتوحش (البقرة. الأسد).

ب : على مستوى الأجزاء.

يبدو النص الحكائي مؤسساً على تعارضات يتم إبرازها بكيفية متسلسلة انطلاقاً من أوضاع طارئة تستتبع مواقف أو سلوكات معينة. وهي ذات التعارضات التي تمت معالجتها في القسم الأول من التحليل وسنحاول هنا أن نبرز الطبيعة الخلافية ومجالاتها.

1 — الرغبات :

رغبة الأب والطفلين المتعارضة مع عدوانية الأسد. هي تجل لتعارض بين غمطي استهلاك متميزين (استهلاك حيواني إلى استهلاك إنساني).
رغبة الأب في تحصيل القنفذ كوسيلة تسلية، هي تجل لتعارض بين استهلاك معاشي يتمحور حول الأكل وبين استهلاك متمحور حول المتعة الزائدة عن الحاجات.

2 — السلوك العدواني :

— ذبح البقرة سلوك عدواني مشروع ومبرر بالحاجات الغذائية لتعارض مع الاحتفاظ بها حياة المبرر اقتصادياً كذلك إنه سلوك عدواني (إنسان حيوان). يتعارض مع السلوك العدواني الثاني (أسد إنسان). المبرر بالطبيعة الفطرية للاقتراض لدى المعتدي. وهو سلوك يتعارض مع العدوان الثاني (قنفذ أسد) والمبرر كدفاع عن النفس. هذا الأخير يتعارض بدوره مع المسلك العدواني (إنسان قنفذ) المبرر بحاجة استهلاكية. بحفزها شعور أبوي يجد صداه في المسلك العدواني الأخير (ثعبان إنسان). المبرر كانتقام أو إجراء رادع.

وفي مقابل مختلف السلوكات العدوانية المبرزة أعلاه. تبرز سلوكات مضادة في شكل ردود أفعال.

وبهذه الكيفية يتشكل الحكي مزاجا بين الرغبات المتباينة والسلوكات العدوانية وردود الفعل التي تستتبعها

3 - أطر الحكاية :

انطلاقا من الأبعاد المختزلة أعلاه يمكن الوقوف على كون الكثير من العناصر المندجة في مجموعات ذات أبعاد دلالية مترابطة فيما بينها تحيل على إطار معين في تلازماتها وانفصالاتها على وجه الخصوص.

أ - الاطار الثقافي المعيشي، :

ونقترحه هنا إجرائيا لتعويض ما يقصد. STRAUSS بالاطار - التقني - طبخي وفيه يبرز عنصران فقط في انفصاليهما وهما «اللحم - والحليب» وكلاهما أساسي كإداة غذائية، غير أن ما يهمننا هنا هو استحالة التلازم التي يبرزها الحكي. وهي استحالة مبررة موضوعيا

الحصول على اللحم = ذبح البقرة

بقاء البقرة = الحصول على الحليب

هذه الاستحالة تبرر أيضا بإبراز مصدر وحيد للمادتين في غياب المصدر المكمل الذكر = الثور = كمصدر اللحم.

لأنربى هنا مبررا لمعالجة تبحث في الانتماء إلى المجال المطبخي أو غيره بالنسبة للمادتين ولكن يهمننا هنا إبراز القيمة الممنوحة لكل مادة على حدة في حدود الاطار الثقافي المعيشي للجماعة.

بالنسبة للحم، سبق أن وقفنا في موقع سابق على طابعها كإداة ظرفية غير متيسرة باستمرار.

أما الحليب، فيكفي أن نراكم إلى طبيعته الغذائية خصائصه الرمزية في طبيعتها الأمومية، ثم باعتباره أول غذاء يتغذى منه الجسم حال ولادته، والمساعد على نموه

واشتداد عوده. إنه يمتلك رمزية الحياة.. والمعرفة، والتبني والاخوة... والحليب كغيره من رموز الحياة والمعرفة رمز قمري Lunaire أي أنوثي بامتياز..⁽⁷⁾

ب - الاطار الاجتماعي :

فيما يتصل بالاطار الاجتماعي يقدم الحكيم مقابلة بين وضعين متباينين بحيث نشهد في الوضع الابتدائي مؤشرات التفكك الأسري في شخص زوجة الأب وسلوكها العدواني تجاه الطفلين، من خلال اقناع الأب بالتخلص منهما بمبررات واهية (الاكتفاء). ثم تجاه الجميع في الصيغة الأخرى بإلقائها الزوج وطفليه وفي المقابل سنجد حرصا أبويا في القنفذ على أطفاله، ومبالغة انثى الغراب في الاعتناء بصغارها، كما نجد استجابة آلية من موقع أناني من لدن الطفلين لطلب الأسد (يتعاركان ويسقطان بين براثنه) كموشر على تقلص روابط الاخوة والدم. كلما تعلق الأمر بالمصلحة الفردية، وفي المقابل نجد اجتماع جهود الحيوانات الضعيفة والحشرات لتشكل قوة قاهرة فتجاوز قوة الأسد.

نجد أيضا ظاهرة سرقة ملك الغير من أجل تحقيق رغبة شخصية «سرقة الشعر من حقول الآخرين» في مقابل نكران الذات «تطوع الثعبان لينوب عن القنفذ في مواجهة الرجل...»

داخل هذا الاطار نجد اشتغالا صريحا للكثير من القيم التي سبق إبرازها في القسم الأول من التحليل.

ج - الاطار الكوني P Cosmologique

فيما يتعلق بالاطار الكوني للحكاية نلاحظ هذا الجمع لشخص متباينة الطبيعة وطرق العيش في فضاء حكي واحد. تقدم كل مجموعة منها. تجليات قيمها مدرجة في صيغة مقارنة. تعزز القيمة التضمينية للحكاية، فهناك :

المجال الحيواني	المجال الانساني
الأسد	الزوج
باقي الحيوانات المفترسة	الزوجة
القنفذ	الطفلان

الغراب (الأثني I

الثعبان

الحشـرات

البقرة

الجيران

وبتأمل العلاقات المتفاعلة في كل مجال على حدة وبالمقارنة مع المجال الآخر نجد أن الحكاية تبرز بشكل واضح بعض مظاهر تفسخ العلاقات على مستوى الأسرة الواحدة. والمجتمع ككل، في تغليب المصلحة الشخصية، والتضحية بالآخر فيما تبرز في المقابل. سلوكات مناقضة تماما نحصر بعض تجلياتها في المجال الانساني من خلال (القنفذ، وأثنى الغراب) في وجهها الايجابي والأسد والثعبان في وجهها السلبي المبرر على مستوى الحكيم.

على مستوى آخر يمكن أن يرصد الحكيم في إطاره الكوني من زاوية كونه يبرز تفاعلا بين الانسان ومحيطه على سبيل الترميز الذي بموجبه تشغل الشخصيات الحيوانية لتغطية الحضور الحقيقي والمضمر لشخص إنسانية تتوحد سلوكاتها ومواقفها مع السلوكات والمواقف الملحقة بالحيوانات في مختلف نماذج الحكيم المماثلة لهذا النموذج.

د - مظاهر الغنى التعبيري للحكاية

إن مختلف المستويات المقدمة أعلاه تبرز مدى قوة وثراء الامكانيات التعبيرية للحكاية، وهي الخاصية التي يمكن ترصدها انطلاقا من امكانيات العبور من الدلالة اللسانية العادية للحكي إلى توضيح أن المقاطع السردية تمتلك دلالة تتميز عن دلالتها اللسانية ثم الإمساك بهذه الدلالات بما سينجم مع الأبعاد المختلفة للحكي. كما يرصد هذا الفني التعبيري في طوعية الشكل الحكائي لاحتواء الكثير في المؤشرات التي يمكن تركيبها وتصنيفها. انطلاقا من إحالاتها المباشرة على شبكات القيم والسنن المتحكمة أو المعتبرة مطمحا بالنسبة للجماعة التي انتجت النص، أو تداولته معدلة ومضيفة

استنتاجات

1 - إن المعطيات التحليلية التي مكنتنا منها معالجة هذا النموذج الحكائي، تبقى محدودة فيما يتعلق بإمكانية اعتمادها. تجليات متكررة لسنن ثقافية تخص مجالا معينا.

لأن المعتمد الوحيد الذي يمكن الاستناد إليه بهذا الخصوص يمثل في استمرار النموذج الحكائي حاضرا. ولكن حضورا معطل الفعالية انه أشبه بالنص الميت المحفوظ والمخنط.

والواقع أن فعالية الحكمي كممارسة في الاستهلاك الثقافي فعالية متقلصة، ان لم نقل منعدمة، بالقياس إلى باقي الفعاليات الأخرى، التي وجدت منافذ للعبور إلى مجال الوسائط الاعلامية الجديدة. في حين بقي الحكمي حبيس ذاكرة المسنين الأفراد.

2 — ان الاعتراضات التي سقناها في مستهل هذا العمل تبرر الاحتراس من أي خطوة تتوخى إلحاق القيم المبرزة هنا كسنتن. بهذا الفضاء الحضري المسمى «أكادير» ذلك انه حتى شرعية الحديث عن سنن ثقافية قبلية غير واردة إطلاقا بهذا الخصوص. بالنظر إلى صيغ الاندماج بين المكونات الثقافية (القبلية) للمجال المذكور.

3 — اننا اليوم ونحن نباشر التعامل مع هذه المعطيات الثقافية، نفعل ذلك في ظل نظام ثقافي جديد غير واضح المعالم، وبإدماجنا لتلك المعطيات في صلب اشغالنا الآن نكون بصدد الحديث عن إنسان آخر غير هذا الذي نتشكل وفقه الآن، أي الانسان المغيب الملامح والمجرد من إنسانيته والذي لا يمكنه أن يروج إلا ثقافة هي كذلك أيضا.

المراجع المعتمدة :

- 1 - Jean-Marie AUZIAS, L'Anthropologie contemporaine. P.U.F.
- 2 - P. RICOEUR, de l'interprétation. Essai sur Freud. Seuil.
REVUE 1) Langues et littérature. V. II. 1982
REVUE 2) Traces. linguistique sémiotique V. I
3) Irène Bessière. Le récit fantastique.
- A .J. GREIMAS. J.COURTES. Sémiotique. Dictionnaire. raisonné de la théorie du langage.
- Jean CHEVALIER. Dictionnaire des Symboles.
- DAN SPERBER. Le structuralisme en anthropologie.

